(١٥)

قطرات
من بحر عبد الله (محمد)

حديث الجمعة

٢١ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ - ١١ نوفمبر ١٩٦٠ م

أشهد أنه الموجود لا غيب له.. وأشهد أنه المعبود لا إحاطة به.. وأشهد أنه الأحد لا شريك له.. وأشهد أنه الواحد لا تعدد معه.. وأشهد أن الإنسان عينه وعبده ورسوله، عينه بوحدانيته، ورسوله بحكمته، وعبده بطاعته.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا ظهر بيننا وفينا بالحق إنسانا، وظهر لنا وعلينا وفينا بحكمته رسولا، وكتابا مبينا، وظهر من أنفسنا بيننا أسوة وقدوة، وعبدا له وعنوانا للعباد له، فيمن سبق، وفيمن يلحق.

عبد المثالية للعباد، وعبد المثالية للرشاد، وعبد المثالية للحق. جاءنا بالحق، وتحدث فينا بالحق، وقام بيننا بالحق، وعاملنا بالحق، وعمل لنا بالحق. أحبَّ ما خاصم، وخاصم ما ضاق بمن خاصم، ولكن حبا في خير من خاصم، وتقويما لمن خاصم، ورحمة بمن خاصم، وهديا لمن خاصم.

فما أدركناه، وما عرفناه، وما تابعناه. وألفيناه في أنفسنا لأنفسنا على ما اشتهت أنفسنا. أوجدناه في أنفسنا بوهم أنفسنا وما تواجدناه في نفسه، وما تواجدناه بنفسه، وما تواجدناه في أنفسنا.

وهو الذي بعث فينا بعثا من نفسه في قديمها، بالحق قامت، يبرزها مخلوقا على ما تخلقت. ويتخلق مبتدئا على ما فعل في قديمه، وعلى ما ينتهي في مستديمه، بدءا جديدا يسير إلى انتهاء جديد، إبرازا لفعل قديم، من فعل نفسه بالحق على ما عرفه، ومن فعل الحق به على ما شهده، ومن فعل الحق على ما قامه.

فما تابعناه محدثين، وما تابعناه فيه مجددين، وما تابعناه إلى المثل الأعلى من القديم مؤمنين، ولا في المثل الأعلى في الجديد مجاهدين، ولا في المثل الأعلى موعودا راجين. ولله المثل الأعلى في العالمين. ولن

يعرف الناس ما طلبوا الله إلا المثل الأعلى فيه في سائر العوالم، ولن يعرفوه إلا بامتداده في أنفسهم طالبين ما كان لهم توفيق طلبه، وما كانت لهم سعادة لقائه. {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض}[1]، { إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا }[2] إلا آت المثل الأعلى، وما المثل الأعلى إلا عباده.

إن المثل الأعلى حيث يتواجد تتواجد السماء، وحيث يُفقد يُفقد وصف السماء، ووصف السمو، ووصف الحياة، وتتواجد الأرض، ويتواجد الظلام، ويتواجد معنى الخلق. ويوم يبدل الله الأرض غير الأرض ما هو بمبدلها في طبيعة، أو قيام، أو نظام، ولكنه يوم يبرز على سطحها أو سمائها الدنيا المثل الأعلى بعبد له من العباد.

ويوم أبرز الله محمدا مثلا أعلى يدب على الأرض فقد تواجدت الحياة على الأرض، وتواجد الحق من الله على الأرض دابا بقدميه يطأها رحمة بأهلها. {أولم يروا أنا نأتي الأرض...}[3] وما أتى الأرض إلا في مجيء المثل الأعلى في الناس من معنى الإنسان ومن معنى العبودية للرحمن، فما الرحمن إلا باطن عبده، وما العبد إلا ظاهر ربه. فإذا مشى عبد الرحمن على الأرض فقد مشى الرحمن على الأرض ظاهرا بعبده. وقد تواجد العبد على الأرض لم ينقطع عن رباطه بربه. {يسألونك عن الساعة}[4]. وهم ليسوا أهلا للسؤال فضلا عن الإجابة! {يسألونك عن الروح}[5] وهم ليسوا أهلا للسؤال فضلا عن الإجابة! هل هم أهل لمعرفة الروح حتى يجابوا عن العلم عن الروح؟

إن الروح قيام وسلام. إن الناس وهم يمشون على الأرض ما يحركهم عليها إلا الروح، فكيف يسألون عن أمر هو من خصائصهم، وهو عين وجودهم، وهو عين قيامهم؟ إنهم يجهلون أمر أنفسهم ويسألون عن أمر أنفسهم وليسوا أهلا لأن يجابوا لأنهم جاهلون بأنفسهم لأنهم ما زالوا بعد في غيب عن أنفسهم. ولكن يوم يرتد إليهم بصرهم وقد استيقظت فيهم عقولهم، فتجولت في القديم من معناهم، وتجولت في الجديد من مبناهم، فارتد النظر إليهم، فأدركوا أن الشأن شأنهم، وأن الأمر أمرهم، وأن الروح إنما هي قيامهم ووجودهم.. إن فعلوا، صلحوا لأن يتساءلوا بينهم، وأن يتواصوا بينهم، وأن يروا الله معهم وفيما دونهم وفيما أكبر منهم، وما هو معهم منه إنما هو الروح.. إنما هو الله.. إنما هو قيامهم بالروح.. إنما هو قيامهم بالله.

{يسألونك عن الساعة أيان مرساها}[6] بجهلهم! أليست الساعة في عرفهم وفي وعيهم - على نقصه - هي قيام حسابهم ولقاء ربهم؟ وأنت عبدي بينهم، وأنت برحمتي الرب الراعي لهم. قامت ساعتك، وانتصب ميزانك، وغُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. وقد عرفت ما قدمت وما أخرت نفسك من أمرك.

إن الساعة إلى ربك منتهاها. إن الساعة أنت من ذكراها هي ما تعلم أنت. إن الساعة هي ما تقوم أنت. إن الساعة هي ما يُعرف بك. أنت (عبد اجتمع على ربه). إلى ربك منتهاها على ما عرفت، وعلى ما صرت، وعلى ما بعثت، وعلى ما وعدت، وعلى ما حققت. إن أمرك أمرهم، وإن حالك هو حالهم ألست أسوة لهم؟ ألم أقل لك {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}[٧]؟ أبعد هذا وقد صرحت به، وأذنت وسمحت، ولك فعلت، يسألون عن ساعة! إنهم يستعجلون بها لأنهم لا يعلمون بها، ولا يؤمنون بها، ولا يدركون لها، ولا يفهمون ما تحمل إليهم، وما أحملك إليهم، وما يصدر عنك لهم.

لا بأس، خاطب الناس على قدر عقولهم. {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا..}[٨] والذين أدركوها، والذين استمعوا القول فاتبعوا أحسنه، والذين صدقوك فصدقوا، وصدقوا الله معهم، وصدق الله لهم، وأدركوا وآمنوا أن الساعة في أنفاسهم قيامها، وأن الساعة في قيامهم، وأن الساعة من عملهم، وأن الساعة في وجدانهم، وأنهم ما انتقلوا من رذيلة إلى فضيلة إلا كانت لهم فيه ساعة، وأنهم ما انتقلوا من عدم إلى وجود، ومن جهل إلى علم، ومن ضيق إلى سعة، ومن قنوط إلى رحمة، في أنفسهم، متطورين بفعلهم، متعرضين لنفحات الله لهم في زمانهم ما حاسبوا أنفسهم، وما أماتوا أنفسهم حاسبوا أنفسهم قبل أن تحاسبهم، وأماتوا أنفسهم قبل أن تميتهم، عملوا بما لم يُكتب عليهم ولم يلزموا به - محبة له وامتثالا لهديه - الذين سمعوا القول فاتبعوا أحسنه، هؤلاء آمنوا بالساعة تقوم في قيامهم فأشفقوا منها على أنفسهم ضئيلة أمام عظمته يلقونه في أنفسهم، وأشفقوا منها على إخوانهم من البشرية الذين يخوضون بجهلهم فيما لا يعلمون بوعيهم. أشفقوا منها وعلموا أنها الحق الذي ينتظرهم ولم يتهيأوا بعمل للقائه.

إن وطء ربك لشديد. إن لقاءه في وحدانيته والنفس لم تتأهل له يصعقها إذا لم تؤد حسابها لها، ولم تدركها بالمرصاد لأعمالها، ولم تنته من شركها إلى وحدانيتها. إن الله {قائم على كل نفس بما كسبت}[٩].

هذه قطرات مما جاء به رسول الله محمد مؤسسا في البشرية لدينه. وإن أذنت لنفسي أن أقول فإني لأقول: ما جاء على الأرض، ولا دب عليها مؤسس لدين من قبله، فقد كانت جميع الرسالات مقدمة لرسالته، وتمهيدا لقيامه بوحدانيته عبدا لربه. وآذن لنفسي فأقول: إنه بمجيئه جاء معه، ويجيء في أمته من بعده، مؤسسو الأديان، جيلا بعد جيل، وقرونا بعد قرون، ومؤسس بعد مؤسس. وإننا في انتظار لاستقبال المؤسس المجدد لهذا الدين الجامع، يجدد هذا الدين، كما يجدد العلم عن الحقيقة

الإنسانية، ويجدد المعرفة، كما يجدد التأسيس، ويجدد اليقين، كما يجدد القيام على نطاق أوسع، وأبين، وأعم، وأشمل.

إننا في انتظار لعبد من عباد الله يدب على الأرض مرة أخرى، ويخاطب الناس: ها أنا ذا عبد الله مسفرا بالعبودية له. إن السماء ترهص لقيام هذا الحق. وإن الأرض لترهص لمقدم هذا العبد. وإن الملأ الأعلى من العوالم يظاهر هذا الأمر، كما أن عالم الروح من ملأ الأرض يستجيب لهذا الكتاب. وإنه يوم يظهر هذا العبد فسوف لا يكون هناك مرية في أمره.

لن تستقبل الأرض عبدا بعد محمد تُختبر فيه. إن الأرض بعد محمد أقلت الكثير من العباد تختبر فيهم من مواصلة بداياته. لقد مشي عباد الرحمن على الأرض بعد محمد لم ينقطع لهم تواجد، ولكنهم كانوا عباد الرحمن يختبر فيهم الناس، ويختبر بهم الناس، ويُرحم بهم سعداء الناس، ويكسب بهم أصفياء الناس، امتدادا لمحمد، واختبارا في محمد، اختبارا فيمن أعطي الكوثر والتكاثر فرآه الناس بوصف أمته أبترا لا يتكاثر، وشجرة لا ظل ولا ظلال لها.. شجرة لا تثمر ولا تتكاثر.. شجرة يبست بجذعها وجفت بمائها. رأته أمته من الناس كذلك. وهو الشجرة اليانعة، المثمرة، المتكاثرة، أزهارها طيبة، وثمارها ناضجة، على وفرة في الثمار، وعلى تلون في الأزهار، وعلى امتداد بالغصون والأوراق والظلال، وعلى تنويع وتشكيل للثمار. إن أمته هم الناس جميعا، وإن شجرته هي الناس جميعا.

إن الناس لا يريدون أن يكونوا ثمارا لهذه الشجرة، ولا يريدون أن يكونوا أزهارا لهذه الشجرة، ولا يريدون أن يزرعوا في صدورهم وقلوبهم ثمارها، أو أن يقطفوا أزهارها ليشموا عبيرها. ولكنهم يريدون أن يكونوا هم بداءة أشجار، لا بل أنهم يريدون أن يتجاوزوها إلى زارعها ومتعهدها فيكونوا خالقها ومبدعها. وما منعهم محمد أن يخلقوها في أنفسهم بالله أو أن يقطفوها لأنفسهم في الله، وما منعهم محمد أن يكونوها بجهدهم في الله، وما حرمهم محمد أن يغرسوا حياتهم في أراضي قلوبهم لتزهر أشجارا لله، ولتثمر عبادا لله، فهذه مهمته وهذه رسالته.

ولكن الناس يريدون أن يزرعوا في غير مواسم الزرع بل وفي غير الأرض الطيبة، وأن يحصدوا في غير مواسم الحصاد بل ومن الأرض القاحلة الصماء. إن الناس يصفون جهلهم بالرشاد، وموتهم بالحياة، وترابهم بالنور قبل أن تشرق أرضهم وسماؤهم بنور الله فيهم أو أن تنشق عنهم أراضيهم، والله نور سمواتهم وأرضهم.. فكيف تثمر أرضهم أو أرض ذواتهم ولم ينزل عليها ماء الحياة بعد، فتهتز وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج، وقبل أن يحرثوها بمجاهدتهم، ويعرضوها لشمس رسولهم؟

إنهم يتعجلون الأمور فلا ينالون شيئا. ولا يكسبون حياتهم. لا ولا يكسبون مماتهم. فإن الإنسان لا يكسب الحياة قبل أن يكسب الموت. كيف يكسب الحياة وهو في كسب الحياة إنما يبدأها؟ وكيف يبدأ الحياة حي؟ إن الحياة العارية فيك ليست حياتك ولكنها حياة محييك. ولكن حياتك ما أحييت، وما خلقت، وما فعلت، وما أنشأت، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره...}[١٠] {ووجدوا ما عملوا حاضرا}[١١]. {إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح}[١٢]. إن الحياة في الحي لا تتكرر، كما أن الموت للميت لا يتكرر.

إذًا كيف تتواجد الحياة بعمل موصوف العبد؟ وكيف تتواجد الحياة بعمل الخلق القائم وهو ميت؟ إن عليه فعلا أن يموت. يجب أن يموت. إنه يجب أن يعلم أن الحياة التي يحيا بها إنما هي عارية وأمانة لأجل، وأنه هو الميت منه في هذه الذات وليس هو الحي فيه، وأن الحي فيه إنما هو الله. وليس هو الله. إن الله فيه هو الحي القيوم، ولكنه هو نبات الأرض الذي تذروه الرياح يوما. إنه ثمار ترابها. إنه هشيمها تذروه الرياح.. إنه لم يحيا بعد.

إذًا فليحيِ أرضه بأمانة الله فيه، فليحيِ أرضه باسم الله فيه، فليحيي أرضه بكلمة الله يزرعها في أرض ناسوته، فليحيِ أرضه باسم الله عليه، وبكلمة الله عليه، وبروح القدس فيه. فليحيِ أرضه بالتعرض لله الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد. لا يكن من الممترين. لا يكن جاهلا. لا ينشد الله في السموات. لا ينشد الله في الأراضين. لا ينشد الأغيار من غيره. لا ينشد الله في النبيين. لا ينشد الله في المرسلين. لا ينشد الله في الأولياء والصالحين. ولكن ينشد الله في نفسه. ويؤمن أن عباد الرحمن شهدوا الله في أنفسهم. وأن رسل الرحمن ما كانوا رسلا للرحمن إلا لأنهم شهدوا الرحمن في أنفسهم. وأن كل إنسان إنما يشهد الله في نفسه. وأن كل كائن ما عرف الله وما شهد الله إلا إذا عرفه في نفسه وشهده في نفسه. وأنه هكذا تكون معرفة الله فيحشر مع النبيين والصديقين رفقاء له.

ويعلم أن الموحدين لله، وأن الموحدين بالله، وأن الموحدين في الله إنما هم وحدة في الله، لا يتباغضون، ولا يتخاصمون، ولا يتنابذون، ولا يتنافرون، إنما هم وجوه، { والله من ورائهم محيط}[١٣] وأن كل من عليها ممن لم يحصل على ذلك الوعي ولا على ذلك الفهم إنما مصيره إلى فناء، وأن قيامه في فناء، وأن قديمه وحاضره ومستقبله الفناء. لا يموت ولا يحيا. إنه فان. إنه تعبير عن الفناء. كما أن الحي تعبير عن الحياة . . .

هذا جاء به محمد، وهذا قطرات مما جاء به محمد. وما جاءت الأنبياء من قبله إلا بحقائق مما جمع في صعيد واحد في نفسه، وفي رسالته، وفي قومه، وفي أمته، وفي كتابه. وما كتابه إلا قيامه ومعناه، وما

قرآنه إلا حديثه لنفسه، وحديث ضميره لذاته {لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه. وقل ربِ زدني علما}[١٤] ...

قال للناس مبعوثا بالحق، مبعوثا بكمالات الخلق، مبعوثا بالخلق الحسن، يا أيها الناس انظروا وتأملوا. ليتكم تعرفون ما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين.. لست على هيأتكم.. لست كأحدكم.. فقد انتهت قطيعتي ورجعت إلى بيتي وأسرتي. إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني. ليتكم تعلمون! ما عرف قدري غير ربي! اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قدري، (أمة مذنبة ورب غفور)[١٥]. (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[١٦].

ها أنا سأعمل على تأليف قلوبكم ما وسعني جهدي، وما مكنتني دنياي مما تحبون وتعشقون. أتألف قلوبكم بما تحبون من الدنيا؟ ها أنا سأبسط لكم السلطان على الأرض. ها أنا بما أودع الله فيَّ أفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه، وأجعل لكم عليها سلطانا به فيها تنتشرون، وإني لناظركم في أمركم فما وُسِّد الأمر فيكم إلى غير أهله فإن التوفيق لكم مفارق. الدنيا لكم في استقامتكم بجمعكم ما استقمتم وإلا فابقوا في ضلالتكم أذلاءها إلى أن تقوم لله رسالة أخرى، من ساعة أخرى، من كلمة أخرى، من أمر آخر.. وقد أُرسلت وساعة أخرى قاب قوسين.

ها أنتم في زمان إن تركتم فيه عشر ما أمرتكم به لهلكتم - وإنكم لفاعلون - ويأتي على أمتي زمان لو عملوا فيه بعشر ما أمرتكم به لنجوا - وإنه لآت - يأتي فيه أحبابي، يأتي فيه من هم على مثالي ومعناي، يأتي فيه من أدركوا رسالتي ولم يروني، يأتي فيه من لهم من الله ما لي، يأتي فيه من أدركوا ما أقول ووعوا ما قيل. احملوا إليهم ما أقول (ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[١٧]، احملوا ما أقول، إن مس قلوبكم لسعدتم، وإن مس نفوسكم لاستقمتم، وإن مس عقولكم لأدركتم، وإن حملتموه تحملون أسفارا بلغتم. رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه فلا تستكبروا على من إليه حملتم. إن قبلكم أناس حملوا التوراة على ما تحملون من حديثي ومن بلاغي ثم لم يحملوها {كمثل الحمار يحمل أسفارا}[١٨]. وإني وقد بعثت فيكم رحمة لكم ورحمة للعالمين، فإني أفيد من كل وضع، وأفيد من كل عمل، ولا فضلة في الوجود. (وجعلت الأرض لي مسجدًا وطهورًا)[١٩].

إن الله يفرق ويجمع. إن الله يجمع أهل الباطل على عنوان من الباطل ينبعث به في الأرض أشقاها، فيبعث الله أمان رسوله ينبه إلى ناقة الله وسقياها من مطايا الناس إليه في ذوات أنفسهم، يجتمع على ذلك أهل الباطل، ويجتمع على هذا أهل الحق، خصمان صنوان من الخلق والحق، يرفع أهل الحق بحقهم، ويبقى أهل الباطل بباطلهم، ثم يقذف الله بمن تحقق من أهل الحق على المتخلفين من

أهل الباطل فيفرق جمعهم مرة أخرى، ويشتت أمرهم مرة أخرى، ويبلغهم مرة أخرى، فينقسمون على ما انقسموا في قديم. ويبعث فيهم أشقاها ويقول لهم رسول الله {ناقة الله وسقياها}[٢٠].

وهكذا يفعل الله في خلقه من الناس، بحقه من الناس دواليك بلا بدء، في دوام بلا انتهاء.. فهل أدرك الناس ما جاءهم به محمد؟ إن هذا قطرات مما جاء به محمد.

إن محمدا علَّم الناس، وإن محمدا درَّك الناس. إن محمدا كشف الغطاء عن الناس. إن محمدا لم يباعد بين الناس وبين ربهم. إن محمدا لم يباعد بين الناس وبين حقهم. إن محمدا لم يباعد بين الناس وبين إلههم. إن محمدا الذي طلب من الناس أن يؤمنوا بالله غيبا، طلب منهم أن يحققوا ذلك شهادة بقيام الغيب فيهم في أنفسهم أقرب إليهم من حبل الوريد قائما على كل نفس بما كسبت.

هذا ما جاء به محمد بل قطرات مما جاء به محمد. لقد عالج محمد بسنته وبقيامه وبفعله أمر الناس جميعا، في الصغير والكبير من أمرهم. علَّمهم حتى التافه من شئون أنفسهم. علَّمهم كيف يتأدبون مع نسائهم في اجتماع. وعلَّمهم كيف يتبادلون المعاملة مع خصومهم على خلق واتساع. علَّمهم كيف يتطهرون في أجسادهم، وكيف يتطهرون في عقولهم. علَّمهم كيف ينشطون بعد غفلتهم في جماعهم. علَّمهم كيف يتوحدون مع أزواجهم لباسا لهن وهن لهم لباس. علَّمهم كيف يرتبطون بآبائهم مولودين، ويرتبطون بأبنائهم والدين. علَّمهم كيف أن أبناءهم إنما هي أصولهم إلى الحق يوم يقوم الحق فيهم، وعلَّمهم أن آباءهم هي أصولهم من الحق إذا عرفوا قديم الحق بهم، علَّمهم أن الحي القيوم لا يمتنع عن القيام في قيامهم ينشدونه ويحيطون بما شاء أن يحيطوا به من العلم عنه في أنفسهم من الآباء والأبناء.

كل هذا جاء به محمد، وهو قطرات مما جاء به محمد. فهل عرفت أمة محمد محمدا؟ حاشا لله أن يكونوا قد عرفوه. وإلا فقد سقط عند عاقل إذا هم عنده مثلوه!

هل تريدون أن نرى رسول الله فيمن يقومون في الناس باسمه أدعياء؟ أم فيمن يقومون في الله باسمه بوهم الأصفياء؟ أم فيمن يقومون في الله باسمه بزعم الحكماء وكلهم بعيد عن الحكمة والصفاء والتقوى والأتقياء؟ أو فيمن يقومون في الناس باسمه من الحاكمين الآمرين، والحكم والأمر في دينه لله رب العالمين؟

كيف يمثل هؤلاء الناس اسم أو دين محمد، أو كرامة محمد، أو مثالية محمد، أو رحمة محمد، أو معنى محمد؟ لا بل كيف يمثلون ذات محمد مثالية من تراب الأرض فضلا عن الحق من نور الله؟

إنه لم ينتفع بمحمد إلا قليل من الناس.. إلا قليل من الشاكرين.. إلا قليل من عباد الله.. إلا قليل من عباد الرحمن.. وهذه سنة الله. فإنَّا لا نطلب من الله تغيير سنته، ولا نطلب من الله تبديل أمره وكلمته، ولكنا نطلب من أنفسنا أنَّا نحاسب أنفسنا، أنَّا نقوم على أنفسنا محاسبين، وأن نعاملها لها قالين، وفعلها مجانبين، ولهديها مخالفين، ما ارتبطت بالأرض وصدت عن صوت السماء. إنها الخصم فينا لله معنا، وإنها العبد لنا والمطية لسيرنا، نبدأ بأنفسنا لها مصلحين ثم بمن نعول بها داعين.

فإذا جعل الله لنا نورا نمشي به في الناس.. إن جعل لنا ذلك فسرنا به فيمن نعول، وسرنا به في أواني ذواتنا، وسرنا به في نفوسنا مبعوثين به، كنا له حقيقة طالبين، ولرحمته متعرضين، ولنفحاته لنا في عالمنا متقدمين، مسلمين، متابعين، عن الحق لأنفسنا باحثين ساعين، والأحسن من القول به آخذين، والأتقى من الناس لهم متابعين. إن فعلنا ذلك فكنا من المسلمين لبعثنا بالإسلام، وكان الإسلام لنا دينا، وجعل الله لنا نورا نمشي به في العالمين.

هذا ما جاء به محمد أو قطرات مما جاء به محمد. إن فعلنا ذلك كنا من المسلمين، وكان الفرد منا نبيا من النبيين، (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٢١]. إن محمدا ما شرف في الناس بوصف النبوة ولا باسم النبي، ولكن محمد شُرف في الله، وشُرف في العالمين، وشُرف في الغيب، بالعبودية عبدا لربه. إنه شرَّف العبودية في السموات، كما شرَّف العبودية في الأرض، كما شرَّف العبودية في إطلاق الله. شرف بالله ربا وشرفت العبودية به عبدا، فأعلم عن الله في عبد يتعارف إلى عبد في الرفيق الأعلى. وعرَّف عن الله قيامًا بلا اسم، فلمن يتسمى معبوده وهو الصمد؟ ولمن يتسمى منشوده وهو الموجود الأحد؟ عرفه بلا موجود معه العَلَم المعروف بلا مُعرِّف عنه، الواحد في وجوده لا خلق فيه، المطلق في قيامه لا يحاط به.

إن الذي جاء به محمد تعريفا عن الحقيقة، وتعريفا عما يجب أن تكون عليه معرفة الناس عنها، أمر عجزت عنه العقول من قبله، وما زالت تعجز عنه العقول من بعده، وعجزت العقول في عصره، عِلما احتفظ به لنفسه، ولكنه أعطاه.. أعطاه لمن أدركه نفسه، وعَرَفَه نفسه، وعَرَفَه معناه، وعرفه خلقه وحقه، وعرفه آدمه وكلمته، وعرفه عبده وروح قدسه. من عرفه كذلك، عرف فكانه، عَرف ما احتفظ به الرسول لنفسه في المعرفة عن الحق له، والحق معه، والحق به والحق بالناس.

هذه قطرات مما جاء به محمد، وهو قليل من كثير مما أسفر به محمد، ومما أعجم به محمد، ومما أعطاه محمد ميسرا، ومما أعطاه مسربلا. أُعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه - فإنه لا شريك له -(أُعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[٢٢]. إنه قائم على كل نفس وأقرب إليها من حبل الوريد. أُعبد الله في نفسك {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن

من الغافلين}[٢٣]. لا تعبد الله في بيت من تراب، أو في بيت من حجر، أو في بيت من طين، ولكن اعبد الله في بيت من الحياة. إنه في نفسك، إنه في قلبك. القلب بيت الرب لمن كان ذا قلب، فكان للرب بيتا، وكان لله عبدا. وما رب العبد إلا ما شهد في نفسه من الله. إن الله هو القيوم على ربك في نفسك. وما ربك في نفسك، إلا ما أحطت به من العلم، بمعلوم عن خالقك، ومبدعك، ومحبوبك، ومعشوقك من الله.

إن الربوبية في قيام الناس لا غيب لها. وإن الألوهية في غيب الناس لا شهود لها. اذكر ربك في نفسك ولا تَذكر إلهك في نفسك، فتعالى الله عما أنت، وتعالى الله عما في نفسك، وتعالى الله بربك معك أن يكون له شريك منك. اشهد أنه لا إله إلا الله فتشهد ربك في نفسك، أو اشهد أن الله أكبر فتعرف إلهك في غيبك.

هذا ما جاء به محمد وعَلَمه وأراد أن يكون للناس من الله. وما أراد أن يكون ما منه من الله للناس من نفسه، فتجاهل نفسه مع الناس غير متجاهل لها من الله حتى لا يشرك بالله به في ذاته من تراب الأرض، وحتى يُعلّمه الناس في علمهم عن الله، وحتى يَعلم الناس الله في علمهم عنه فيعرف الناس من الله، ويعرف نفسه من الناس. وما جانب في تعريفه الصواب بل أصابه في سويدائه، فما قام بهم في حقيقتهم إلا محتجبا بذاته عن ظهوره، قائما فيهم بمعناه من الحق ومن الله، حتى يستقيم أمر الناس.

هو رجل.. هو حق.. هو نور.. هو روح.. هو عالم.. تجاهل نفسه في جميع صوره.. وتجاهل نفسه في جميع حقائقه.. تجاهل نفسه في جميع عوالمه، وظهر للناس بما يرب الناس في أنفسهم، وبما يقوم فيه الناس بذواتهم، وبجبلتهم، وبطبيعتهم، وبقيامهم، حتى يفتح لهم باب الرجاء مع الله بدء خليقتهم من عالم بدئهم فينتهوا إلى ما انتهى هو إليه من الله في قديمه ومحدثه، وبذلك يعرفون ما عرف، فإن أحسنوا البدء فقد حسن الانتهاء، وإن أحسنوا المدخل فقد استقام المسير، وإن دخلوا الباب سجدا فقد قام فيهم الدين، وطرقوا إلى ساحات الله ساحة السلام، لا ساحة المباينة والخصام.

هذا ما جاء به محمد. فهل عرفه الناس؟ هل قامه الناس؟ هل تذاكره الناس؟ هل تواصاه الناس -إلا من رحم -؟

اللهم اجعلنا ممن رحمت فقبلت، ولا تجعلنا ممن ابتليت فقلوت.. {يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون}[٢٤]. من تحسر لهم الخالق فقد أهلكهم وأفناهم. إن الحياة في رضائه عمن يرضى، وإن رضاءه في رضاء الخلق عنه. {رضي الله عنهم ورضوا عنه}[٢٥]. ورضوانهم المتحد

رضوان أكبر.. رضوان انقطع فيه وصف العبد ووصف الرب في الراضي من العبد والراضي من الرب. {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى}[٢٦] فإن فعلتم صلح أن تتفكروا وأن تعلموا، وأن تعرفوا - هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٢٧]. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٢٨]. لا ينقطع من أمته الداعي إلى الله على بصيرة، (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)[٢٩]. {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[٣٠]. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٣١].

كل هذا عرَّفه محمد. هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تفرق بكم السبل فتضلوا عن سبيل الله. هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني.

هذا ما جاء به محمد أو جانب مما جاء به محمد، وكثير مما جاء به محمد نحن في أشد الحاجة إليه اليوم. نحن أحوج ما نكون إلي معرفته، ونحن أحوج ما نكون إليه وقد اضطرب أمرنا، وضل سعينا، وأظلمت عقولنا، وران على قلوبنا ما كسبنا. نحن أحوج ما نكون إلى أن تتكشف لنا رسالة محمد وعيا، حتى يتواجد فيها من يتواجد عملا. فإذا تواجد الناس فيها عملا وسلوكا انتظم جمعهم وتجمعوا على معارفهم وعلى مختلف معانيهم من خلق الله، متخلقين بخلق الله، وكان الله في جماع ذواتهم قائما على جمعهم في سرهم ونجواهم، فإن انتظم جمعهم انتظمت تشريعاتهم، وانتظم حكمهم، وانتظم أمرهم، وانتظم حكامهم، وانتظمت دساتيرهم، وانتظمت أممهم، فكانوا عنوانا عليه أمة مثالية لأمم الخلق من البشرية، وقد أرادها على ما أرادها عليه شعوبا وقبائل ليتعارفوا، من منهم أدرك لله، ومن منهم أتقاهم في الله، ومن منهم المتخلف عن ركب مدنية النفس وصلاة الروح. والناس كلهم في حقيقة أمرهم ما يطلبون إلا الله، فإن ظهر ذلك في الناس ظهرت أمة محمد، وبظهور أمة محمد يستقيم أمر الناس لأنه رسول الله المرسل إلى الناس كافة. {وما أرسلناك إلا كافة للناس}[٣٢] لا يخرج من وصف أمته لا شرقي، ولا غربي، ولا عربي، ولا أعجمي. ولكن الناس يختلفون في أمر كتابه والانتساب إليه، ولكنهم لا يختلفون في أمر أمته والانتساب إليها، كل مولود يولد على الفطرة، والإسلام دين الفطرة...

ومحمد عبد الفطرة، ونبي الفطرة، ورسول الفطرة، وحق الفطرة، ووجه الفطرة، وكتاب الفطرة. فالناس جميعا أمته. أما من آمن به كتابا، أما من آمن به قياما، أما من آمن به رسلا وأنبياء، أما من آمن به رفعا وإيابا، أما من آمن به جزاء وثوابا، فكل آمن بالله، وكل آمن برسول الله على درجة وتفاوت في الدرجات في وعيهم وفي استقامة أمرهم.

هذا جاء به محمد أو ما فصله محمد، أو جانب مما جاء به محمد. فهل عمل الناس فكانوا أمة محمد؟ هل نشهد اليوم أمة محمد؟ هل يقوم الناس اليوم أمة لمحمد؟ إنهم يتوارثون من الآباء الغفلات ولا

يتوارثون من الآباء اليقظات. إنهم يقولون السلف والخلف الصالح ويشهدون في أنفسهم خلفا صالحا، ويشهدون في أسلافهم سلفا صالحا، وما شهدوا من أسلافهم إلا من تلف، وما ذكروا من أسلافهم من عن الحق صدق. فهل ذكروا من أسلافهم من اعترف، ومع أسلافهم فعلا من اغترف، فكانوا لهم أسوأ خلف، فهل أدركوهم لهم مثلا؟ نعم أدركوهم مثالا في المقابر، أدركوهم مثالا فيما أسموه مساجد وحرم، وما عرفوا أصحاب المساجد ولا ساحة الحرم. كلما ذهب ذاهب بحق ذكروه بعد ذهابه. وكلما جاءهم آتٍ بحق سخروا منه إلى يوم غيابه، فما قدروه رسول الله إليهم وقد بعثه الله إليهم مواصلة لرسالة محمد، ولدين محمد، ولحق محمد. فهل أدرك الناس شيئا من ذلك فأدركوا أنفسهم صحفا في كتاب الله، ومصابيح في أمة رسول الله، وجوارح في نفس عبد الله؟ إنكم تعرفون أمر قيامكم، وأمر نفوسكم، وأمر جماعتكم، وأمر دينكم، فهل هناك شيء من ذلك؟ فلنكن أبناء يومنا، وأبناء سمعنا. فمن عرف شيئا من دين محمد فليقم فيه وليوغل فيه برفق، فإن أدركه في نفسه فليدركه لأهل بيته، فإن أدرك في نفسه مزيدا من معرفة وقياما من حق، صح له أن يعمل بما أمر به رسول الله)لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٣٣]، فليتواصى مع الناس بالحق، وليتواصى معهم بالصبر لعل الله أن يهدي به أحدا، وإن هدى به أحدا كان في ذلك الخير كله له، من خير الدنيا والآخرة، (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك خير لك من الدنيا وما فيها)[٣٤].

فنرجو ونسأل الله، ونتشفع إليه بوسيلته محمد وآله أن يحقق لنا ذلك، ونستغفره ونتوب إليه ونستهديه ونسترحمه.

اللهم إن حالنا بين يديك على ما تعلم من عجز في أنفسنا، ومن إيمان بقدرة فيك. اللهم وقد وعدت فكن عند ظننا بك. اللهم غير أحوالنا إلى أحسن حال. وادفع عنا شرورنا وشرور الأشرار من خلقك. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا. اللهم هيئ لهذه البشرية وهذه الأرض السلم والسلام مع نفسها ومعك. اللهم أنزل سلمك عليها رحمة منك. اللهم ارزقنا رضوانا من رضائك، ولا تعاملنا من حضرة جزائك، وأقلنا من إقامة عدلك. اللهم ألحقنا بمحمد وبمن ألحقت بمحمد. لاحقين في ذلك بك، قوامين به وجها لك، وطلعة علينا منك، تقوم فينا وتُشهدنا طلعتك فيه، عبادا لك لا شريك لك.

اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. وزكي اللهم فيك نفوسنا، وقوم فيك جوارحنا وسبيلنا، وأطلق من سجن ذواتنا أرواحنا، وأشرق بنورك في معاني عقولنا حتى نتواصى فيك بحقك لا إله غيرك ولا معبود سواك، حتى نتواصى فيك بحقك، لا موجود سواك. اللهم عاملنا ببرك وبرحمتك غلبت رحمتك جزاءك. اللهم عاملنا ببرك راجين رحمتك فمن ذا الذي له قيام مع قيامك، أو له شأن

مع شأنك أو أمر مع أمرك. اللهم إنا نعلم أنك بالإنسان عبرت عن نفسك، وجعلته كتابا لك، وجعلته نور السموات والأرض تهدي إليه وتهدي به.. تهدي به إلى نفسك.

اللهم إنا آمنا بعظمتك في قربك كما هي في بعدك. اللهم إنا شهدنا قيامك على نفوسنا أقرب إلينا من حبل الوريد. اللهم حقق لنا ذلك واجعل إسلامنا لك إسلاما لوجهك الكريم في كل ما أبرزت من عبادك ومن أصفيائك. اللهم أنزل على أرضنا السلم والسلام وجنبنا الفرقة والخصام برحمتك يا أمان ويا سلام. لا إله إلا أنت ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(سيوجد ما يخيل إليكم أنه ظلام وحرج. ستقولون إن الأمور أصبحت أسوأ. ولكن خلف كل شيء توجد قدرة عاملة على تقدم العالم)

(سيأتي يوم ينهض فيه شعب جديد يعرف أن السياسة والدين والعلم والمعرفة، كلها أجزاء من شيء واحد. إن أعظم معلم لعالمكم سوف يكون إنسانا قادرا على إزالة أحزان الآخرين، والوصول بهم إلى حياة أفضل).

(إن ما نحاول تعليمه لكم إنما هي الحقائق التي علمكم إياها من رأوا بعيون الروح منذ الأزل، وكلما أهملتموها أصبح من الضروري تعليمها لكم مرة أخرى).

من هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النحل - ٦٠
٢ سورة مريم - ٩٣
٣ سورة الرعد ٤١
٤ سورة النازعات - ٤٢ ، سورة الأعراف - ١٨٧
٥ سورة الإسراء - ٨٥
٦ سورة النازعات - ٤٢ ، سورة الأعراف - ١٨٧
٧ سورة البقرة - ١٨٦
٨ سورة الشورى - ١٨
٩ سورة الرعد - ٣٣
١٠ سورة الزلزلة - ٧
١١ سورة الكهف - ٤٩

١٢ سورة هود - ٤٦

١٣ سورة البروج - ٢٠

١٤ سورة طه - ١١٤

١٥ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةً أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك.

١٦ من حديث شريف، رواه ابن إسحاق، كما في "سيرة ابن هشام": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يوم فتح مكة، قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ... إلى أن قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ.

١٧ حديث شريف: "نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ مقالتي، فبلَّغَها، فربَّ حاملِ فِقهٍ، غيرُ فَقيهٍ، وربَّ حاملِ فِقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصَّحيحَيْنِ من حَديثِ أبي بَكرَةَ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "فليُبلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فربَّ مُبلَّغٍ أوْعى مِن سامع".

١٨ سورة الجمعة - ٥

١٩ من حديث شريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٢٠ سورة الشمس - ١٣

٢١ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٢٢ من حديث شريف مجمع على صحته جاء به جبريل عليه السلام عن معنى الإحسان. أخرجه البخاري في صحيحه.

٢٣ سورة الأعراف - ٢٠٥

٢٤ سورة يس - ٣٠

٢٥ سورة المائدة - ١١٩

٢٦ سورة سبأ - ٤٦

٢٧ سورة الفرقان - ٥٩

٢٨ سورة يوسف - ١٠٨

٢٩ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٣٠ سورة الحجر - ٩

٣١ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

٣٢ سورة سبأ - ٢٨

٣٣ حديث شريف. صحيح البخاري. جاء أيضا بلفظ: "والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخيرِ." أخرجه النسائي ومسلم.

٣٤ إشارة إلى حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم الإمام علي بن أبي طالب. " فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لكَ حُمْرُ النعم." أخرجه البخاري ومسلم.